تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الأول

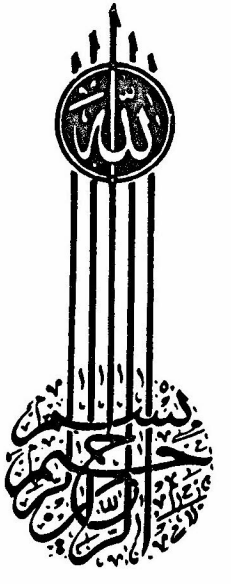

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

دار طيبة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإن الحياة مع كتاب الله نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب إمامه ــ وهذا شأن المسلم ــ فاهتدى بهديه بعد أن تدبر آياته! وما أسعد المجتمع الذي يجمع مثل هذا الفرد! وما أشد بؤس الذين حرموا أنفسهم من هدايته فخبطوا في حياتهم يمنة ويسرة، وانتهوا إلى ضياع أعمارهم وضياع دنياهم وآخرتهم: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) .

وإن أكثر الأوقات بركة تلك التي تقضى مع هذا الكتاب الكريم، إذ يعيش الإنسان مع كلام ربه عز وجل، فيحس أنه يناجيه فيرتقي مقامه، ويشعر بالعناية الإلهية تحيط به وترعاه وتأخذ بيده إلى حيث سعادته وفلاحه، سيما وهو يدرك ما فعل منزِّل هذا الكتاب به في الجيل الأول الذي تلقّاه وفي كل جيل أَحْسَنَ التلقي والتزم التنفيذ. يحس عندئذ هذا الأثر العميق للقرآن في حياة الفرد والأمة متى أدركت عمن تتلقى وماذا عليها بعد التلقي. يقف على أسرار هذا الكتاب الكريم وهو يصوغ تلك النفوس صياغة جديدة جعلت منهم ــ أفراداً ومجموعة ــ نماذج فريدة متميزة في تاريخ البشرية الطويل.

ثم يدرك من يعيش مع كتاب الله عمق الخطر في دعاوى الذين يطالبون بنشر العامية تكلماً وكتابة، ولو حاولوا التستر وراء ما يطرحونه من صعوبة النحو العربي وإملائه، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمة بكتاب ربها عز وجل فتنسلخ عن مصدر الهداية لتُغرق في التيه والضياع.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

قوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السَّلم هاهنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها، وفي سورة الأنفال «وإن جنحوا للسلم» بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى ﴿**ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾[1] أي في الإسلام، قال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم ﴿**كافة**﴾ أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانيه أسهم فَعدَّ الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له.

﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغيره ﴿**إنه لكم عدوّ مبين**﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون[2] أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيه ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[3].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٩٧).
(٢) التهوك كالتهور، وهو الوقوع بالأمر بغير روية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير.
(٣) رواه أحمد ٣/٣٨٧ ـ عن جابر. وابن أبي عاصم في السنة ١٠/٢٧، والدارمي ١/١١٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٣٣٩ وله شواهد عند أبي يعلى بنحوه ٢/٤٢٦-٤٢٧.
أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث: ٣/٢٨-٢٩.
قال الهيثمي في المجمع ١/١٧٤ وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.
والمصنف في شرح السنة ١/٢٧٠. وحسنه الألباني فذكر له شواهد كثيرة. انظر إرواء الغليل ٦/٣٤-٣٨ ظلال الجنة ١/٢٧.

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾

﴿**فإن زللتم**﴾ أي ضللتم، وقيل: مِلْتم، يقال زلت قدمه تزل زلا وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالُّون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم ﴿**من بعد ما جاءتكم البينات**﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿**فاعلموا أن الله عزيز**﴾ في نقمته ﴿**حكيم**﴾ في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

قوله تعالى: ﴿**هل ينظرون**﴾ أي هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية ﴿**إلا أن يأتيهم الله في ظلل**﴾ جمع ظلة ﴿**من الغمام**﴾ وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم: قال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام فلا ينظر [إليه][1] أهل الأرض ﴿**والملائكة**﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره: مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، وقرأ الباقون بالرفع على معنى: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السف وعلماء السنة.

قال الكلبي: هذا هو المكتوم الذي لا يفسر، وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد واسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينه: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا/الله تعالى ورسوله. ٣٣/أ

قوله تعالى: ﴿**وقضي الأمر**﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل (الله)[2] القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿**سل بني إسرائيل**﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة ﴿**كم آتيناهم**﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم ﴿**من آية بينة**﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء، وفلق

(١) في ب: إليهم.
(٢) زيادة من (ب).

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد السابع

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

دار طيبة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه يتركب الخلق يوم القيامة»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأشرقتِ الأرضُ**﴾، أضاءت، ﴿**بنورِ ربِّها**﴾ بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربِّها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿**ووُضِعَ الكتاب**﴾، أي: كتاب الأعمال، ﴿**وجيءَ بالنبيين والشهداء**﴾، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة، يدل عليه قوله تعالى: «وجاءتْ كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد» (قّ - ٢١)، ﴿**وقُضِيَ بينهم بالحقِّ**﴾، أي : بالعدل، ﴿**وهم لا يُظلَمُونَ**﴾، أي: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿**ووُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ**﴾، أي: ثواب ما عملت، ﴿**وهو أعلَمُ بما يفعلون**﴾، قال عطاء: يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد .

﴿**وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنمَ**﴾، سوقاً عنيفاً، ﴿**زُمَراً**﴾، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: «زمراً» أي: جماعات في تفرقة، واحدتها زمرة. ﴿**حتى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابها**﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة «فُتِحَتْ، وفُتِحَتْ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿**وقال لهم خزنتُها**﴾، توبيخاً وتقريعاً لهم، ﴿**ألمْ يأتِكم رسلٌ منكم**﴾، من أنفسكم، ﴿**يتلون عليكم آياتِ ربكم وينذرونكم لقاءَ يومِكم هذا قالوا بلى ولكنْ حقتْ**﴾، وجبت، ﴿**كلمةُ العذابِ على الكافرين**﴾، وهو قوله عزّ وجلّ: «لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين» (هود-١١٩).

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة الزمر- باب: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض»:٨/٥٥١، ومسلم في الفتن، باب: ما بين النفختين. برقم (٢٩٥٥) ٤/٢٢٧٠-٢٢٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٠٤ .